

المالتهام الثالث

بقلم د . حامد طاهر

كان القرن التاسع عشر هو قمة عصر الاستعمار الغربى لدول وشعوب العالم الإسلامى ، بدءاً من الهند حتى شواطئ الأطلسى فى المغرب العربى . ونحن جميعاً نعرض أن الاستعمار كان يعتمد على الاحتلال العسكرى، وبسط السلطة على تلك المناطق بالقوة

المسلحة ، وتحت هذا الاحتلال وتلك السلطة كان يتم استنزاف الموارد الطبيعية ، واستغلال الأيدي العاملة بأرخص الأجور ، ونتيجة لذلك تضخمت عوائد الدول الاستعمارية ، واستطاعت أن تبني اقتصادياتها على موارد مضاعفة : من بلادها أولاً ، ثم من تلك البلاد المنهوبة ثانياً . ومن الأمور المستغربة حقاً أن كبار المفكرين الغربيين : أدباء وفلاسفة راحوا يدعون في بلادهم إلى ضرورة تطبيق حقوق الإنسان ، وتحقيق العدالة الاجتماعية دون أن يشمل ذلك مآسى الشعوب التي كانت ترزح تحت سلطان جيوشها المحتلة !!

لقد كان هذا هو المالتهام الأول الذي قام به الغرب الاستعماري ضد المشرق المضعف ، أو بتعبيرنا الحالي : دول الشمال ضد دول الجنوب . لكن هذه الدول ما لبثت أن ثارت على الاستعمار ، وراحت تقاومه بكل الوسائل البسيطة التي كانت متاحة لها ، ولما شك أنها قدمت العديد من التضحيات والمضحايا .. حتى بدأت حركة التحرر من الاستعمار منذ خمسينات القرن العشرين ، أي منذ ستين سنة فقط ، حيث غادرت الجيوش المحتلة أراضي الدول المنهوبة ، لكن عيون بلادها الجشعة ظلت مفتوحة على مواردها غير المستغلة ، فراحت تعمل وتخطط لاستمرار الاستيلاء عليها بطرق أخرى ، غير الطرق العسكرية ، والهجوم المسلح ..وم ن هنا بدأ مسلسل الاتفاقيات ، والمعاهدات ، بل حتى المساعدات والمنح والمهبات لكي تضمن دول الاستعمار السابق مواصلة تدفق الموارد اللازمة لها لتشغيل آلتها الصناعية الضخمة وتواصل تغلبها وهيمنتها التي كانت لها في الماضي

وهذا هو المالتهام الثاني الذي حدث خلال نصف القرن الماضي ، وما زال يحدث حتى الآن ، لكن الأمور لم تعد تجري تماماً كما يريد المستعمرون ، فإن حالة الوعي التي بدأت تتقدم لدى الشعوب المنهوبة راحت تصعب حركة المرور ، وتفشل بعض المخططات ، لذلك لجأ الاستعمار بسرعة هذه المرة لأسلوبه الأول ، وهو الأسلوب العسكري العنيف ، أي الاحتلال المسلح وفرض السيطرة بالقوة . ولكى يتمكن من ذلك ، كان عليه أن يفتت المناطق المرغوب فيها إلى جزئيات صغيرة ، حتى يتمكن من التهامها واحدة بعد الأخرى ، أو واحدة بجوار الأخرى

..

وهذا ما نشاهده حالياً في العالم العربي حيث الأمور ممهدة لتجزئة العراق ، ثم لبنان ، وفلسطين ، والسودان والصومال ، والمغرب العربي .. وهو يلعب بقوة على مسألة الطائفية والأعراف في باقي البلاد العربية .. هذا هو المالتهام الثالث ، وهو أكثر خطورة مما سبقه لأنه يستفيد من خبراته المتركمة خلال التهامي ه : الأول والثاني

والمسؤال الآن : هل يمكن لأنصار رفض نظرية الموامرة أن ينكروا شيئاً من ذلك ، وهو يجرى أمام أعينهم ؟ أتمنى أن يرد واحد منهم ..
واحد فقط ؟ !.